القصة القرآنية، ومناسبتها للوحدة الموضوعية للسورة(قصة الفداء في سورة الصافات إنموذجاً)

أ.د. إسماعيل مخلف خضير
الجامعة العراقية/ كلية الآداب
م.م. محمد وهاب زيدان
الجامعة العراقية/ كلية الأداب

The Qur'anic story, and its relevance to the thematic unit of the surah (the story of redemption in Surat As-Safat as a model)

Prof. Ismael Mikhlif Khudhayer (Ph.D.)
Asst. Instr. Mohammad Wahab Zedan
Al-Iraqia University/College of Arts

المستخلص

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

إن هذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن المناسبة بين قصة الفداء وموضوع سورة الصافات، وأهمية ذلك في بيان تماسك أجزاء السورة الواحدة، باعتبار أن لكل سورة شخصية مميزة ومستقلة عن غيرها في كل شيء حتى في اختيار الحلقة من القصة القرىنية.

وقد تناولت فيها تعريف علم المناسبات، والوحدة الموضوعية، والقصص القرآني.

أما في القسم التطبيقي منها، فقد تناولت البطاقة التعريفية لسورة الصافات، وبيان الوحدة الموضوعية لها، كما تناولت ملخص قصة الفداء ومناسبتها لموضوع السورة.

وفي الختام خلصت لعدة نتائج منها: أن القصة القرآنية إنما ترد في السورة لتؤدي وظيفتها، فقصة الفداء قد جاءت في سورة الصافات؛ لتخدم موضوع السورة مقام العبودية لله والاستسلام له.

الكلمات المفتاحية: الفداء، القصة القرآنية، سورة الصافات

Abstract

All praise is to Allah, and prayer and peace be upon the Messenger of Allah Mohammad (PBUH). This study aims to reveal the occasion between the story of redemption and the topic of Surat Assaffat; and its importance of explaining the cohesion of the parts of a single Surah, given that each Surah has a distinct personality and is independent from others in everything, even in choosing the topic from the Qur'anic story. I dealt with the definition of occasions, objective unity, and Quranic stories. As for the practical section, I dealt with the identification sign of Surat Assaffat, and its objective unit statement, the summary of the story of redemption, and its relevance to the subject of the surah. The study concluded several results; like that the Qur'anic story is mentioned in "the surah" to perform its function, so the story of redemption came in Surat Assaffat to serve the topic of the surah as a place of worship to Allah and follow His guidance.

Keywords: Redemption, Qur'anic Story, Surat Assaffat

المقدمة

الحمد لله وكفَى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه أهل الوفا.

أما بعد:

فقد اشتمل القرآن الكريم على قصص كثيرة وصفها الحق بأحسن القصص: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ... ﴾ [يوسف:٣] وهذه القصص ترد "في القرآن في مواضع ومناسبات. وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة، والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدى بها. تنسيقا للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه. وبذلك تؤدي دورها الموضوعي، وتحقق غايتها النفسية، وتلقي إيقاعها المطلوب...

إن المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء. فالقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام، ومنهج حياة، لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ. وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء"[1]؛ لهذا أحببت طرق هذا الموضوع من خلال هذا البحث

(القصة القرىنية ومناسبتها للوحدة الموضوعية للسورة – قصة الفداء في سورة الصافات إنموذجا).

أولا: أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال بيان دقة استخدام القرآن الكريم للقصة القرآنية في الموضع المناسب لها من السور، وفق أحداث وألفاظ معينة يظهر من خلالها مناسبتها لمحور السورة العام عند التأمل والنظر.

من هنا تبرز أهمية دراستنا؛ فهي تبرز جانبا من جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال إثبات استقلالية كل سورة بشخصيتها، وتميزها عن غيرها من السور حتى في انتقاء القصص والمفردات المناسبة لها.

ثانيا: مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة من خلال بيان أحد أنواع المناسبات في القرآن الكريم وهو المناسبة بين الحلقة من القصة القرآنية مع الوحدة الموضوعية للسورة التي ترد فيها، ويمكن التعبير عنها بالأسئلة التالية:

١- هل لورود القصة في القرآن الكريم، وتوزع حلقاتها على أكثر من سورة مناسبة مع الوحدة الموضوعية للسورة؟

٢- ما هي المناسبة بين المشاهد المنتقاه من قصصة الفداء، والوحدة الموضوعية لسورة الصافات؟

ثالثا: أهداف الدراسة:

١- إبراز أهمية النظر إلى الوحدة الموضوعية لسور القرآن؛ لمعرفة المناسبات بين موضوعات السور.

٢- الكشف عن المناسبة بين القصة القرآنية ومحور السورة العام، من خلال تتبع معاني القصة والربط بينها وبين محورها العام.

٣- المساهمة في إبراز أهمية القصة القرآنية في جانب من جوانبها، وهو المتعلق بمناسبتها لمحور السورة؛ بوصفه سرا من أسرار البيان القرآن.

رابعا: الدراسات السابقة:

١- القصة القرآنية ومناسبتها للسياق القرآني، بثينة محمود الملكاوي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت/ كلية الدراسات الفقهية والقانونية، إشراف د.حسيب السامرائي. وفيها تناولت الباحثة أغراض القصة وخصائصها، وعناصرها، كما تناولت التناسق المعنوي بين القصة وسياقها ومثلت لذلك بقصتي آدم وموسى عليهما السلام، مبينة المناسبة بين القصة وسياقها.

٢- العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها (قصتا مريم وعيسى عليهما السلام إنموذجا)، غدير عدنان حسين جبر، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا، إشراف د. جهاد محمد فيصل النصيرات. وفيها تناولت الباحثة العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها، وذلك من خلال الحديث عن العلاقة بين ورود مشاهد وحلقات من قصة مريم وعيسى عليهما السلام وبين الوحدة الموضوعية للسور التي ذكرت فيها.

٣- مناسبة القصص القرآني لمقاصد السور قصة يونس عليه السلام إنموذجا، دكتورة مريم نافل الدويلة أستاذ مشارك بقسم التفسير والحديث / كلية الشريعة والرداسات الإسلامية/ جامعة الكويت، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية العدد (٩٩). وفيها حاولت الباحثة الكشف عن المناسبة بين القصة والمقصد العام للسورة، وبيان أهمية ذلك في تماسك أجزاء السورة الواحدة باعتبار أن لكل سورة شخصية مميزة مستقلة عن غيرها، مطبقة ذلك على أحداث قصة يونس عليه السلام حسب ترتيبها في المصحف، مبينة مناسبة القصة لما قبلها وما بعدها من الآيات، وكذلك مناسبتها لمقصد السورة العام.

وهذه الدراسات لم تتناول المناسبة بين قصة الفداء وموضوع سورة الصافات؛ لهذا آمل أن تسهم هذه الدراسة في إظهار العلاقة بين القصة القرآنية والوحدة الموضوعية للسورة التي ترد فها، من خلال بيان الوحدة الموضوعية للسورة، والحلقة من القصة، ثم الربط بين القصة وموضوع السورة.

خامسا: حدود الدراسة:

يرتكز محور الدراسة على بيان وجه التناسب بين قصة الفداء وموضوع سورة الصافات.

سادسا: منهج الدراسة:

تجمع الدراسة بين المنهجين التاليين:

- المنهج التحليلي: وهو الغالب في الدراسة من خلال الاهتمام ببيان الوحدة الموضوعية للسورة، وكذلك نظم القصة ودقائقها اللفظية التي تكشف عن بلاغة المناسبة بين قصة الفداء وموضوع سورة الصافات.
- المنهج الاستنباطي: ويتمثل في تلمس الوحدة الموضوعية للسورة، والمناسبة التي تربط القصة بموضوع السورة.

سابعا: طريقة الدراسة:

إن الطريقة التي اتبعتها في تقسيم الموضوع للوصول إلى المناسبة بين الحلقة من القصة القرآنية والوحدة الموضوعية للسورة هي ما يلي:

- بين يدي السورة: وفيه بطاقة السورة المراد دراستها
- تحديد موضوع السورة العام من خلال ذكر أهم الأقوال الواردة فيه، وتقسيم السورة إلى محاور، وربط المحاور ببعضها.
- ذكر خلاصة القصة.
- ربط القصة بموضوع السورة العام؛ وذلك من خلال بيان المناسبة بينهما.

وقد راعيت في هذه الدراسة المنهجية العلمية، وذلك في الأمور التالية:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم، مع ذكر رقم الآية، وعزوها إلى السورة التي وردت فيها، وذلك بعد نهاية الآية أو الآيات، مستخدما في ذلك تطبيق مصحف المدينة.
- أذكر معلومات النشر المتعلقة بالكتاب الذي أنقل منه في ثبت المراجع فقط؛ حتى لا أثقل الهوامش.
- إذا اقتبست كلاما من كتاب ما بالمعنى أو بتصرف يسير فإني أكتب العبارة بدون أقواس، ثم أشير في الهامش بكلمة (ينظر)، وأشير إلى الكتاب بالجزء

والصفحة، أما إذا اقتبسته نصا فأضعه بين قوسين " " للتنصيص، وأعزوه في الهامش إلى الكتاب المقتبس منه بالجزء والصفحة دون كلمة (ينظر).

- أخرج الحديث تخريجاً علمياً موجزاً مكتفياً بالصحيحين إذا كان الحديث فيهما أو في أحدهما؛ لصحتهما، ولتلقي الأمة لهما بالرضا والقبول، فإن لم يكن في أحدهما خرجته من غيرهما مبتدئا بالكتب الأربعة، فمسند أحمد ... وهلم جرا مع ذكر درجة الحديث إذا اقتضى الأمر ذلك.

- الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم أكتفي بذكرها دون الحكم عليها.

- ميزت بالأقواس والنقط ما يلي:

١- { } للآيات القرآنية.

٢- [ ] لذكر اسم السورة ورقم الآيات.

٣- ( ) للأحاديث.

٤- " " لكلام المصنفين والعلماء من المفسرين وغيرهم.

٥- ... ثلاث نقاط متتابعة في حالة حذف شيء من النص

وفي صياغة البحث فإني لا أتكلف صياغة شيء إذا كان غيري قد صاغه الصياغة التي ارتضيها، أو أقصر عن صياغتها أصلا، فليس الهدف إلا مرضاة الله، ثم

تحسين هذه الدراسة واتقانها، مع حرصي على عزو الكلام لأهله، وقد بذلت جهدي في تحري الصواب ما استطعت إلى ذلك سبيلا، والله ولي التوفيق.

ثامنا: هيكل الدراسة:

تكون هيكل الدراسة من مقدمة ومدخل وثلاثة مطالب، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، ومنهجها، وطريقتها، مع هيكل الدراسة.

المدخل: وفيه:

أولا: مفهوم علم المناسبات.

ثانيا: مفهوم الوحدة الموضوعية.

ثالثا: مفهوم القصص القرآني.

المطلب الأول: بين يدي سرة الصافات، وفيه:

أولا: اسم السورة.

ثانيا: عدد آياتها واختلاف العلماء في ذلك.

ثالثا: فضائل السورة.

رابعا: مكان النزول.

خامسا: مناسبات السورة بين المفتتح والمختتم:

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية لسورة الصافات، وفيه:

أولا: الوحدة الموضوعية لسورة الصافات عند المفسرين والباحثين.

ثانيا: القول المختار.

المطلب الثالث: المناسبة بين قصة الفداء وموضوع سورة الصافات، وفيه:

أولا: قصة الفداء.

أولا: مناسبة القصة لموضوع السورة

الخاتمة: وتشتشمل على النتائج الكلية للدراسة.

هذا والله أسأل أن يوفقني لمرضاته، وأن يرزقني الإخلاص والقبول في القول والعمل، وأن يتقبل مني بقبول حسن؛ إنه أعظم مسؤول.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدخل

أولا: المناسبة لغة واصطلاحا:

يقول ابن فارس [ت: ٣٩٠هـ]: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به"(٢).

ويقول الراغب [ت:٥٠٢هـ]: "النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان:

نسب بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء.

ونسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة، وبني الأعمام. قال تعالى: ﴿...فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ...﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٥٤]"(٣).

ويقول الزبيدي [ت: ١٢٠٥هـ]: "من المجاز: (المناسبة: المشاكلة)، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل. وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة"(٤).

من خلال التعاريف أعلاه يتبين لنا أن المناسبة في اللغة تأتي على معان منها:

١- التشابك.

٢- الاتصال بالنسب طولا (آباء وأباء الآباء ... والابناء وابناء الأبناء ...)، وعرضا (الإخوة وابناء الإخوة ... الأعمام وأبناء الأعمام...)

٣- التشابه والتشاكل.

المناسبة اصطلاحا:

قال القاضي ابن العربي [ت: ٥٤٣هـ][٥]: هو "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٦].

ويقول البقاعي [ت:٨٥٥هـ]: "علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة"[٧].

وقال السيوطي [ت: ٩١١هـ]: هو "المعنى الرابط بين الآيات عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"[٨].

وعرفها القطان [ت: ١٩٩٩م] بقوله: "المناسبة: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"[٩].

وعرفها مصطفى مسلم [ت:٢٠٢١م]: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"(١٠).

فالمناسبة إذن **هي المعنى الرابط بين الآيات والسور بأي وجه من الوجوه.**

ثانيا: الوحدة الموضوعية لغة واصطلاحا:

يتألف مصطلح "الوحدة الموضوعية" من جزأين ركبا تركيبًا وصفيًا، وللوصول إلى تعريف الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لابد من إفراد الوصفين؛ لمعرفة معناهما:

الوحدة لغة واصطلاحا:

الوحدة لغة: ترجع لفظة الوحدة إلى الجذر الثلاثي وحد، يقول ابن فارس [ت:٢٩٥هـ]: "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة. وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله... والواحد: المنفرد"(١١).

"الوحدة: الانفراد... والواحد في الحقيقة الذي لا جزء له البتة البتة"(١٢).

الوحدة اصطلاحا:

المحور، أو الأساس الوحيد الذي يجمع الموضوعات المتعددة في السورة(١٣).

من خلال النظر في المعنى اللغوي والاصطلاحي نجد أن لا اختلاف في تعريف الوحدة لغة واصطلاحا[١٤].

الموضوعية لغة واصطلاحا:

الموضوع لغة:

يقول ابن فارس: " (وضع) الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه ووضعته بالأرض وضعا "[١٥]،

فالوضع، وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، يقال ناقة واضعة: إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل: وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى[١٦].

وهذا المعنى ملحوظ في الوحدة الموضوعية للسورة؛ لأن آيات ومواضيع السورة ترتبط في موضوع واحد فهي لا تغادره أبدا، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فعلى الرغم من طول بعض سوره، وتفرق نزولها على سنوات، إلا أنها تدور على فلك واحد لا تبرحه.

الموضوعية اصطلاحا:

"الموضوع هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن"[١٧].

الوحدة الموضوعية كمركب وصفي:

هي اتحاد الموضوع الذي ذكر متناثرا وأنه لا تباين فيه، ولا اختلاف، بل يؤلف وحدة موضوعية له كاملة كما نقول بعبارة أخرى (وحدة الموضوع)"[١٨].

وأما الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية: هي طلب المحور الذي يجمع المواضيع المتشعبة في السورة القرآنية[١٩].

ثالثا: القصص لغة واصطلاحا:

القصص لغة:

قال ابن فارس [ت:٢٩٥هـ]: "قصَّ: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته.

ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره"[٢٠].

وقال الراغب: "القص: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره، والقصص: الأثر. قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ [الكهف:٦٤]... والقصص: الأخبار المتتبعة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ... ٦٢﴾ [آل عمران: ٦٢]"[٢١].

وقال الكفوي: "الْقِصَّة: هِيَ الْأَمر وَالْخَبَر، وقصصت الحَدِيث: رويته على وَجهه ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف:٣]: أَي نبين لَك أحسن الْبَيَان، وقص عَلَيْهِ الْخَبَر قصصا بِالْفَتْح والقصص بِالْكَسْرِ: اسْم جمع الْقِصَّة"[٢٢].

القصة القرآنية اصطلاحا:

يقول محمد حجازي: "الاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد؛ لتذكير الناس بها، ولفتهم إليها؛ لتكون العبرة والعظة"[٢٣].

وعرفها ابن عاشور بأنها "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"[٢٤].

ويعرفها عبد الكريم الخطيب بأنها "عرض لأحداث تأريخية مضى بها الزمن... فهو –والأمر كذلك– وثيقة تأريخية من أوثق ما بين يدي التأريخ من وثائق فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة...

إلى أن قال: هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"(٢٥).

وعرفها محمد خير العدوي بأنها "كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به الله ﷻ رسوله محمد صلى الله علية وسلم بحوادث الماضي؛ بقصد العبرة والهداية ، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفرادا وجماعات"(٢٦).

من خلال التعريفات السابقة يمكننا أن نخلص إلى النقاط التالية:

١- أن القصص القرآني منحصر في الأخبار السابقة لوقت نزول القرآن الكريم .

٢- أن سيرة النبي صلى الله علية وسلم ليست من قبل القصص القرآني؛ لأنها ليست سابقة لنزول القرآن.

٣- أن القصص القرآني لا ينحصر في خبر الأنبياء، بل يتعدى ذلك ليشمل كل خبر موجود في القرآن الكريم قصه الله ﷻ على نبيه الكريم صلى الله علية وسلم[٢٧].

المطلب الأول

بين يدي سورة الصافات

أولا: أسماء السورة:

الأسماء التوقيفية:

سورة الصافات: وبهذا الاسم اشتهرت السورة، فكتبت في المصاحف، والتفاسير وكتب الحديث، ولم يثبت شيء عن النبي صلى الله علية وسلم في تسميتها، يقول ابن عاشور: "اسمها المشهور المتفق عليه «الصافات» . وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها، ولم يثبت شيء عن النبيء صلى الله علية وسلم في تسميتها"(٢٨).

وجه التسمية:

سميت بسورة الصافات لافتتاحها بقسم الله بـــ (الصافات) وهم الملائكة الكرام، قال المهايمي: "سميت بها لاشتمال الآية التي فيها صفات للملائكة تنفي إلهية الملائكة من الجهات الموهومة لما فيهم. فينتفي بذلك إلهية ما دونهم، فيدل على توحيد الله وهو من أعظم مقاصد القرآن"(٢٩).

الأسماء الاجتهادية:

سورة الذبيح: ذكر هذا الاسم السيوطي في الاتقان عن الجعبري وقال: "ورأيت في كلام الجعبري أن سورة الصافات تسمى سورة الذبيح وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر"(٣٠).

وجه التسمية:

وسميت بسورة الذبيح؛ لورود قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام فيها.

ثانيا: عدد آيها واختلاف العلماء في ذلك:

عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريِّين، وآيتان عند الباقين(٣١).

ثالثا: فضائل سورة الصافات:

أخرج النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله علية وسلم يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيفِ وَيَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ)(٣٢).

رابعا: مكان نزول السورة:

السورة مكية بالاتفاق، قال الآلوسي: " سورة الصّافّات مكية ولم يحكوا في ذلك خلافا"(٣٣).

خامسا: مناسبات السورة بين المفتتح والمختتم:

مناسبة مطلع سورة الصافات لخاتمة ما قبلها: ناسب مطلع سورة الصافات لختام سورة يس من وجوه منها:

الأول: "لما قال في يس: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤﴾ [يس: ٧٤]، قال في مطلع الصافات: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾ [الصافات: ٤ – ٥]

الثاني: لما ذكر قول الكفار في إنكار اليوم الآخر في سورة يس : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾[يس: ٧٨] الآيات، قال في الصافات: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١﴾ [يس: ٨١] الآيات"[٣٤].

مناسبة مفتتح السورة لخاتمتها: لما قال تعالى في أولها ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ ﴾ [الصافات: ١] وهم الملائكة، ناسب ذلك أن يكون آخرها فيهم فقال: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصافات: ١٦٥] [٣٥]، ولما استبعدوا العذاب وكفروا بما جاء عن رب العالمين في أولها: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨﴾ [الصافات: ١٢ –

١٨]، هددهم رب العزة في المختتم فقال: ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ١٧٠﴾ [الصافات: ١٧٠] [٣٦].

المطلب الثاني

الوحدة الموضوعية لسورة الصافات

أولا: الوحدة الموضوعية لسورة الصافات عند المفسرين والباحثين:

تعددت أقوال المفسرين والباحثين حول موضوع سورة الصافات نذكر منها:

القول الأول: التأكيد على عقيدة التوحيد والبعث، وبيان سنة الله في نصرة أوليائه وهلاك أعدائهم، وتفنيد عقيدة المشركين في الملائكة والجن[٣٧].

القول الثاني: عزة أولياء الله، وذل وصغار أعدائه[٣٨].

القول الثالث: الإستسلام لأوامر الله[٣٩].

القول الرابع: "آفاق العلاقة بين الخالق والخلق"[٤٠].

القول الخامس: "بيان أصول العقيدة، والتوحيد، والرسالة، والوحي، والبعث، والجزاء"[٤١].

القول السادس: "مقام العبودية في سورة الصافات"[٤٢].

ثانيا: القول المختار:

إن مقام العبودية لله والاستسلام له من أعلى المقامات وأشرفها، فهو يستدعي غاية الخضوع والتذلل لله تعالى، مع غاية المحبة له ﷻ، وقد اتصف به وحققه الصفوة المختارة من الأنبياء والمرسلين، ومن صدقهم واستجاب لدعوتهم من عباد الله المخلصين.

وقد أبرزت موضوعات سورة الصافات هذا المعنى، وأكده الحق ﷻ في مطلع السوة، فأقسم بجماعات من عباده أنه وحده المستحق للعبادة: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾ [الصافات: ١ – ٤]، فقد ابتدأت بالقسم بصنف عن عباده المخلصين المستسلمين لأمره، إنهم الملائكة الصّافات قوائمها أو أجنحتها في السماء استعدادا لتنفيذ أمر الله، والزّاجرات السّحاب لتصريفه كيفما يشاء الله(٤٣). كل هذا يشير إلى أن موضوع السورة هو **مقام العبودية لله والاستسلام له**، ويبرز موضوع السورة أكثر بتأمل موضوعاتها، وتباعا بيان ذلك:

يمكن تقسيم السورة إلى: مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

المقدمة: مقام العبودية لله والاستسلام له (١-٧٤):

وفيها أن الله خلق كل شيء، وأنه تصطف له الملائكة تنفذ أمره، وتنتظم له السماوات والأرض مستسلمة لا تحيد عن أمره، وتلتزم الشياطين بأن لا تتعدى ما سمح لها بفعله، كما قارنت الآيات بين مصير المعرضين عن عبادته يوم القيامة، ومصير المنقادين لطاعته، فأكدت بأن البعث والحساب حق؛ لعقاب الظالمين المجرمين، ومكافأة لعباد الله المخلصين المستسلمين لأمره، وأن هذه الدنيا دار اختبار مؤقتة أما دار القرار فهي الآخرة(٤٤).

القسم الأول: بعض مواقف عباد الله المخلصين المستسلمين لأمره (٧٥-١٤٨):

في هذا القسم "يعود السياق من الجولة الأولى في ساحة الآخرة، وفي مجالي النعيم والعذاب، يعود ليستأنف جولة أخرى في تاريخ البشر مع آثار الذاهبين الأولين، يعرض فيها قصة الهدى والضلال منذ فجر البشرية الأولى فإذا هي قصة مكرورة معادة، وإذا القوم الذين يواجهون الرسول صلى الله علية وسلم في مكة بالكفر والضلال بقية من أولئك المكذبين الضالين. ويكشف لهؤلاء عما جرى لمن كان قبلهم، ويلمس قلوبهم بهذه الصفحات المطوية في بطون التاريخ. ويطمئن المؤمنين برعاية الله التي لم تتخل في الماضي عن المؤمنين.

وفي هذا السياق يستعرض طرفا من قصص نوح، وإبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، وموسى وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس.. ويقف وقفة أطول أمام قصة إبراهيم وإسماعيل التي تمثل أعلى درجات العبودية والاستسلام لله، ففيها يعرض عظمة الإيمان والتضحية والطاعة، وطبيعة الإسلام الحقيقية كما هي في نفسي إبراهيم وإسماعيل، في حلقة لا تعرض في غير هذه السورة، ولا ترد إلا في هذا السياق"(٤٥).

القسم الثاني: الملائكة وعبادتهم وإخلاصهم لله تعالى (١٤٩-١٧٠):

بعد أن أورد ﷻ في القسم الأول "قصص بعض الأنبياء تفصيلا متضمنا وصفهم بالفضل والعبودية له تعالى:

أمر نبيه صلى الله علية وسلم في هذا القسم أن ينكر على قريش القسمة الجائرة التي عملوها وهي جعل البنات لله وجعل البنين لأنفسهم بقولهم: الملائكة بنات الله، أولاً، ثم بالتقريع ثانيا على استهانتهم بالملائكة بجعلهم إناثا، ثم أبطل كلا من هذين بالحجة التي لا يجد العاقل محيصا عن التصديق بها والإذعان لها.

ثم بعد أن أثبت فساد آراء المشركين ومذاهبهم أتبع ذلك بما نبه به إلى أن هؤلاء المشركين لا يقدرون على حمل أحد على الضلال إلا إذا كان مستعدا له، وقد سبق فى حكم الله أنه من أهل النار وأنه لا محالة واقع فيها، ثم حكى اعتراف الملائكة

بالعبودية تنبيها إلى فساد قول من ادعى أنهم أولاد الله"[٤٦] ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الصافات: ١٦٤ – ١٧٠].

الخاتمة: بشائر النصر والتأييد لعباد الله المخلصين (١٧١-١٨٢):

وفيها البشائر لعباد الله المخلصين بالنصر والتأييد على الذين سلخوا أنفسهم عن مقام العبودية لله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣]، ثم خصت الآيات النبي صلى الله علية وسلم بالبشارات؛ تثبته بها وتتوعد أعداءه ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾[الصافات: ١٧٤ – ١٧٥].

وفي الختام توج الله السورة بآيات التسبيح والسلام والحمد ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] [٤٧].

يقول المدرسي: "وفي الآيات الأخيرة يلخص ربنا عِبر هذه السورة، ومن أظهرها أن عباد الله المخلصين هم الذين أخلصهم ربهم وأخلصوا أنفسهم له، فلم تؤثر فيهم العوامل التي جرت على غيرهم"[٤٨].

المطلب الثالث

قصة الفداء ومناسبتها لموضوع السورة

لقد اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه، وخرج "وحيدا لا عقب له وهو يترك وراءه أواصر الأهل والقربى، والصحبة والمعرفة. وكل مألوف له في ماضي حياته، وكل ما يشده إلى الأرض التي نشأ فيها، والتي انحسم ما بينه وبين أهلها الذين ألقوه في الجحيم! فاتجه إلى ربه الذي أعلن أنه ذاهب إليه. اتجه إليه يسأله الذرية المؤمنة والخلف الصالح: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠] ...واستجاب الله دعاء عبده الصالح المتجرد، الذي ترك وراءه كل شيء، وجاء إليه بقلب سليم.. ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾[الصافات: ١٠١] ولنا أن نتصور فرحة إبراهيم الوحيد المفرد المهاجر المقطوع من أهله وقرابته. لنا أن نتصور فرحته بهذا الغلام، الذي يصفه ربه بأنه حليم.

والآن آن أن نطلع على الموقف العظيم الكريم الفريد في حياة إبراهيم عليه السلام. بل في حياة البشر أجمعين. وآن أن نقف من سياق القصة في القرآن أمام المثل الموحي الذي يعرضه الله للأمة المسلمة من حياة أبيها إبراهيم عليه السلام..."[٤٩].

أولا: قصة الفداء:

إن قصة الفداء وردت في موضع واحد من القرآن الكريم، كما أن بعض تفاصيل هذه القصة وردت في السنة موقوفة على ابن عباس ﷺ في سند صحيح على شرط الشيخين(٥٠)، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي الطفيل، قال: قلت لابن عباس:"... ويزعم قومك أن رسول الله صلى الله علية وسلم سعى بين الصفا والمروة، وأن ذلك سنة؟ قال: صدقوا، إن إبراهيم لما أمر بالمناسك، عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، قال: قد تله للجبين – قال يونس: وثم تله للجبين – وعلى إسماعيل قميص أبيض، وقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٥] فالتفت إبراهيم، فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين، قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش..."(٥١).

كما أخرج الحاكم في مستدركه عن مجاهد عن ابن عباس ، في قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ [الصافات: ٨٣] قال: " من شيعة نوح إبراهيم

على منهاجه وسنته بلغ معه السعي شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم في العمل، فلما أسلما ما أمرا به وتله للجبين وضع وجهه إلى الأرض فقال: لا تذبحني وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا تجهز علي اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي على الأرض فلما أدخل يده ليذبحه فلم يحك المدية حتى نودي ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الصافات: ١٠٥] فأمسك يده ورفع قوله ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧] بكبش عظيم متقبل"[٥٢].

القصة من الكتاب:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات: ١٠٠ – ١١١]

خلاصة القصة:

"بعد أن نجى الله تعالى إبرهيم عليه السلام من نار قومه يئس منهم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصافات: ٩٩]، وشعر عليه السلام بحاجته إلى الولد بعد أن مسه الكبر، وتحركت في نفسه فطرة حب الذرية والخلف، فدعى ربه أن يرزقه ولدا صالحا، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠]، فاستجاب الله دعاءه: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾"[٥٣]، "فلما شبَّ الغلام وأطاق السعي والعمل، رأى إبراهيم في المنام أنه يؤمر بذبح ولده العزيز، الذي هو بكره ووحيده! إن هذه لمحنة تنوء بها الجبال الراسيات؛ لكن العظائم كفؤها العظماء، فعلى قدر إبراهيم عليه السلام ، وعلو منزلته، وعلى مقدار ثبات يقينه، وكمال إيمانه يكون ابتلاؤه واختباره"[٥٤].

فيستجيب إبراهيم عليه السلام ودون أن يعترض. ودون أن يسأل ربه: لماذا يا ربي أذبح ابني الوحيد؟! ولكنه لا يلبي في انزعاج، ولا يستسلم في جزع، ولا يطيع في اضطراب. كلا إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء. يبدو ذلك في

كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢] "[٥٥]، "ولعل السر في كونه مناما لا يقظة أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص"[٥٦].

فشاور ابنه قائلا: "﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ مع أنه سينفذ ما أمره الله تعالى به في منامه سواء رضى إسماعيل عليه السلام أم لم يرض؛ لأن في هذه المشاورة إعلاما له بما رآه؛ لكي يتقبله بثبات وصبر، وليكون نزول هذا الأمر عليه أهون، وليختبر عزمه وجلده"[٥٧].

"ويأتي جواب الولد الحليم محققا لأمل أبيه فيه، يأتي مثالا للطاعة والتسليم: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾، فهو لا يخاف ويفزع، ولا يفقد رباطة جأشه من هول الموقف العصيب، بل لا يفقد أدبه مع أبيه وحبه له وحنانه فيخاطبه ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، كما خاطبه أبوه بـ ﴿يَٰبُنَيَّ﴾... ويعلم الولد المقبل على الذبح أنه بدون العون من الله وتأييده لا يستطيع أن يصبر، فيعلق وعده لأبيه بالمشيئة الألهية الرحيمة العظيمة، وإلا فمنذا الذي يضمن له إذا جد الجد وأشرعت السكين، وأقبل الوالد لتنفيذ أمر رب العالمين، من يضمن له أن لا يهرب منه الصبر ويكون من الناكصين"[٥٨].

يقول الآلوسي معلقا على قوله: ﴿... سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢] " في قوله: {□ □} دون صابرا وإن كانت

رؤوس الآي تقتضي ذلك من التواضع ما فيه، وقيل ولعله وفق للصبر ببركته مع بركة الاستثناء... وفيه أيضا إغراء لأبيه عليه السلام على الصبر لما يعلم من شفقته عليه مع عظم البلاء حيث أشار إلى أن لله ﷻ عبادا صابرين"(٥٩).

"واستسلم النبيان الصالحان الصابران، الأب الشيخ والابن الشاب لأمر الله، وبدأ مشهد التنفيذ والذبح ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: ١٠٣] ما أروع التعبير القرآني عن حالتهما الإيمانية في هذا المشهد المثير ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾، إنها قمة الاستسلام لله والخضوع والعبودية له، وتنفيذ أمره، هذا هو الإسلام في حقيقته وروحه وغايته، هذا هو الإسلام لله في بعده العملي، وأثره الخارجي وغايته التربوية"(٦٠).

"وينادى إبراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا، حقا إنها أعلى مراتب الإحسان من الأب والابن معا، ولا بد للمحسن أن يجازى بإحسانه وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وحقا إنه لابتلاء عظيم، ويكرم الله إبراهيم عليه السلام بالفداء، ويفدى الولد البار بذبح كبش يقوم بذبحه الأب القانت، ويكرم الله إبراهيم عليه السلام الذي جمع بين عز الإيمان وخضوع العبودية، وهما مقاما الافتقار والافتخار"(٦١).

من دلالت القصة في عيون الكتب:

يقول سيد قطب معقبا على القصة: " ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وعظمة التسليم، والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته. ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله في طاعة راضية واثقة ملبية لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجلج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه. ولا تستبقي لنفسها في نفسها شيئا، ولا تختار فيما تقدمه لربها هيئة ولا طريقة لتقديمه إلا كما يطلب هو إليها أن تقدم!. ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء ولا أن يؤذيها بالبلاء، إنما يريد أن تأتيه طائعة ملبية وافية مؤدية. مستسلمة لا تقدم بين يديه، ولا تتألى عليه، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والآلام. واحتسبها لها وفاء وأداء. وقبل منها وفدّاها. وأكرمها كما أكرم أباها"[٦٢].

ثانيا: مناسبة القصة لموضوع السورة:

لما كان موضوع السورة **مقام العبودية لله والاستسلام له** ناسب ذلك مجيء قصة الفداء فيها؛ لما فيها من إبراز لمقام العبودية لله والاستسلام لأوامره، فإبراهيم عليه السلام يتلقى أمر ذبح ابنه الذي انتظره سنين حتى رزق به عن كبر، والأمر تلقاه بالمنام لا عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، فيستسلم لهذا الأمر بلا تردد،

فلم يسأل عن السبب، ولم يقل: أنها مجرد رؤيا؛ لأن رؤيا الأنبياء حق، فيعرض هذا الأمر على ابنه، فيستسلم الولد لأمر الله دون تردد فيقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾

فحلقة الفداء هذه هي أدل ما في السورة على موضوعها... والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله، ثم الحمد لله، ما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله، عليه توكيت، وإليه أنيب حسبي الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده رسوله.

أما بعد:

فها أنا ذا أصل إلى نهاية هذا البحث الموجز، وقد خرجت منه بنتائج أبرزها ما يلي:

النتائج:

- تتعدد أهداف القصة القرآنية بتعدد مقاصد القرآن، فهي تدور مع هدف السورة وتخدمه، سواء أكان هذا الهدف عقديا، أو تربويا، أو اجتماعيا ... إلخ ، وكلها تسعى إلى تحقيق أهداف القرآن الكريم المتعلقة بهداية العالم إلى الطريق المستقيم الذي يرشدهم إلى الإيمان بالله.
- لا يوجد تكرار في القصص القرآني؛ فكل حلقة ترد في سورة، إنما ترد لتخدم هدف السورة التي وردت فيها.
- إن الوحدة الموضوعية إحدى أجزاء التفسير الموضوعي، والتي تهدف إلى بيان تكامل وتناسق وتماسك عناصر السورة الواحدة.

- إن ورود القصص وترتيبها في سورة ما يكون بناء على توافقها مع موضوع السورة التي سيقت لأجله، فالقصص الوارد في أي سورة يكون متآلف فيما بينه، متعانق أشد التعانق، وهو إحدى وسائل إبراز الوحدة الموضوعية للسورة.

- إن القصة القرآنية لا تسرد سردا كاملا، وإنما يُختار منها الحلقة التي تناسب الهدف الديني الذي تخدمه السورة.

- إن أسلوب عرض قصة الفداء، مبني على جو السورة ومحورها العام، فالسورة القرآنية عبارة عن لوحة فنية متناسقة الأجزاء ووحدة واحدة في موضوعها.

التوصيات:

١- توجيه طلاب الدراسات العليا وحثهم على القيام بدراسات تطبيقية للبحث عن المناسبة بين الوحدة الموضوعية للسورة والقصص الوارد فيها.

٢- توجيههم للبحث عن المناسبة بين الوحدة الموضوعية للسورة والامثال الواردة فيها.

وختامًا أقول : هذا جهدي وبضاعتي وهي مزجاة، وهو جهد طالب علم مبتدئ، يبحث عن بلوغ المرام، والوصول إلى أسمى الغايات، أضعه بين يدي أساتذتي الأفاضل؛ ليقيموا عوجه، ويسدوا خلله، وينشروا حسناته، ويستروا زلاته .

وأنكسر بين يدي خالقي، المتفضـــل علي بنعمه الجزلى، والآئه العظيمة، وأرجوه، أن يتقبله مني، ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأسأله سبحانه أن يتقبل القليل، ويجازينا عليه الكثير، ويتجاوز عن التقصير، إنه نعم المولى ونعم النصير. وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

(١) – في ظلال القرآن، سيد قطب، (٥٥/١).

(٢) – مقاييس اللغة، (٤٢٣/٥).

(٣) – المفردات في غريب القرآن، (٨٠١).

(٤) – تاج العروس،، (٢٦٥/٤).

(٥) – أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، توفي بفاس، في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٩٧/٢٠-٢٠٣).

(٦) – البرهان، الزركشي، (٣٦/١).

(٧) – نظم الدرر، (٦/١).

(٨) – الإتقان، (٣٧١/٣).

(٩) – مباحث في علوم القرآن، (٩٦).

(١٠) – مباحث في التفسير الموضوعي، (٥٨).

١١ – مقاييس اللغة، مادة (وحد) (٩٠/٦-٩١).

١٢ – التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (٣٣٥).

(١٣) – تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، محمد بازمول، (٥٢).

(١٤) – ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، (٣٣٥).

(١٥) – مقاييس اللغة، (١١٧/٦).

(١٦) – ينظر: الصحاح، الجوهري، (١٢٩٩/٣)، ومعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، (١٠٣٩/٢)

(١٧) – التعريفات، الجرجاني، (٢٣٦).

(١٨) – الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد حجازي، (٣٣).

(١٩) – ينظر: تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، محمد بازمول، (٥٥)

(٢٠) – مقاييس اللغة، مادة (قص)، (١١/٥).

(٢١) – المفردات في غريب القرآن، (٦٧١).

(٢٢) – الكليات، (٧٣٤).

(٢٣) – الوحدة الموضوعية، (٢٨٩).

(٢٤) – التحرير والتنوير، (٦٤/١).

(٢٥) – القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (٤١-٤٢).

(٢٦) – معالم القصة في القرآن الكريم، (٣٣).

(٢٧) – ينظر: اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، الدقور، (٣٤).

(٢٨) – التحرير والتنوير، (٨١/٢٣).

(٢٩) – تبصير الرحمن وتيسير المنان،(١٩١/٢).

(٣٠) – الإتقان، السيوطي، (١٩٩/١).

(٣١) – ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، الداني، (٢١٢)، بصائر ذوي التمييز، الفيرزوآبادي، (٣٩٣/١).

(٣٢) – سنن النسائي، كتاب المساجد، باب: الرخصة للإمام في التطويل، (ح ٩٠٢)، (٤٣٥/١).

(٣٣)– روح المعاني، (٦٣/١٢).

(٣٤) – التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، السامرائي، (١٣٦).

(٣٥) – ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، السيوطي، (٦١).

(٣٦) – ينظر: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، السامرائي، (٥٢).

(٣٧) – ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٩٨١/٥)، أهداف كل سورة ومقصدها، شحاته، (٣٣٠)، الموسوعة القرآنية، جعفر شرف الدين، (٢٠٥/٧)، مفاتيح سور القرآن الكريم، صلاح

القبندي، (١١٣)، دلالة أسماء السور القرآنية على محاورها وموضوعاتها، عمر عرفات، (٣٧٧).

(٣٨) – ينظر: اللمسات الحانية في مقاصد السور الغانية، عدنان عبد القادر، (٣٩)، أول مرة أتدبر القرآن، عادل محمد خليل، (١٦٢).

(٣٩) – ينظر: خواطر قرآنية، عمرو خالد، (٣٢٩)، عون الكريم، محمد المصري، (٨٧).

(٤٠) – مقاصد السور، محمد المدرسي، (١٦٩).

(٤١) – التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم ورفاقه، (٣٤١/٦).

(٤٢) – التفسير الموضوعي، الطهماز، (١٣١/٧).

(٤٣) – ينظر: التفسير الموضوعي، الطهماز، (١٣١/٧)، التفسير المنير، الزحيلي، (٦١/٢٣).

(٤٤) – ينظر: تسهيل فهم وتفسير سور القرآن، عدلي الخطيب، (٩٧٠/٢)، التفسير الموضوعي، الطهماز، (١٣١/٧).

(٤٥) – في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٩٩١/٥).

(٤٦) – تفسير المراغي، (٨٩/٢٣).

(٤٧) – ينظر: التفسير الموضوعي، الطهماز، (١٨٢/٧-١٨٥).

(٤٨) – مقاصد السور، (١٧٢).

(٤٩) – في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٩٩٤/٥).

(٥٠) – الشيخين: البخاري ومسلم.

(٥١) – مسند الإمام أحمد، (ح٢٧٠٧)، (٤٣٨/٤-٤٣٩) قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي ... فذكر حاله وقول الحافظ في التقريب: مقبول، قال : ولمعظم هذا الحديث شواهد وطرق يقوي بها.

(٥٢) – مستدرك الحاكم، (ح٣٦١٢)، (٤٦٨/٢)، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥٣) – إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، أحمد الأميري، (١٢٥)، ينظر: الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة، عبد الله أبو سيف، (١١٠).

(٥٤) – قصص القرآن، محمد جاد المولى، (٥٥–٥٦)، سيدنا إبراهيم في القرآن الكريم، محمد الكبيسي، (١٠٧).

(٥٥) – في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٩٩٥/٥).

(٥٦) – روح المعاني، الآلوسي، (١٢٣/١٢).

(٥٧) – التفسير الوسيط، الطنطاوي، (١٠٠/١٢).

(٥٨) – إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، أحمد الأميري، (١٢٧).

(٥٩) – روح المعاني، (١٢٤/١٢).

(٦٠) – القصص القرآني، الخالدي، (٣٩٧/١).

(٦١) – القصص القرآني، فضل عباس، (٢٩٨).

(٦٢) – في ظلال القرآن، (٢٩٩٧/٥).